الفصل الرابع والستون بعد المئة

شعراء ثقيف

وثقيف من القبائل التي لم تنجب عدداً يذكر من الشعراء . وشاعرهم الوحيد الذي نال شهرة ، وظهر أمره هو (أمية بن أبي الصلت) الثقفي . وقد علل (ابن سلام) قلة الشعر بالطائف بقوله : « وبالطائف شعراء ، وليس بالكثير ، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف »[1] .

وقد عرفت ثقيف بفصاحة لسانها ، وبمقدرتها في الكتابة ، ولهذا ورد ذكرها في حادث تدوين القرآن .

ومن شعراء ثقيف (أبو الصلت بن أبي ربيعة) ، وهو والد (أمية بن أبي الصلت) ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل[2] ، وأبو محجن الثقفي. وكانت زوجة (أبي الصلت) : (رُقيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف) ، فهي من قريش . وهي والدة (أمية)[3] .

ونسبت الى (أبي الصلت) قصيدة زعم أنه مدح فيها أهل فارس حين

---

١ ابن سلام ، طبقات (٦٥ وما بعدها) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٦٦) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٦٩) .

قتلوا الحبشة ، ومدح (سيف بن ذي يزن) ، وهنأه فيها لتوليه الملك[1] ، وقد أشار فيها الى قصة (سيف) ، وكيف ذهب الى (هرقل) يستنجده على الحبشة، فلم يجد عنده ما طلب ، ثم كيف ذهب الى (كسرى) ، وبقي عنـد بابه تسع سنوات حتى أمده بالجنود وعلى رأسهم باذان ووهرز ، الى آخر القصة التي ترد في كتب الأخبار والتواريخ . وقد نسبها بعض الرواة الى ابنه (أمية) .

وأمية بن أبي الصلت من الشعراء الذين رغبوا عن عبادة الأوثان وآمنوا بالله وبالبعث ، ووقف على كتب أهل الكتاب فتأثر بها ، وكان يجالسهم ويختلط بهم . وكان أبوه شاعراً ، روى رواة الشعر شيئاً من شعره ، وكان ابنه (القاسم بن أمية بن أبي الصلت) شاعراً كذلك وله صحبة . وذكر ان العرب اتفقت على ان (أمية) كان أشعر ثقيف[2] .

ذكر انه كان في الجاهلية نظر الكتب وقرأها وليس الملسوح وتعبد أولاً يذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرّم الخمر وتجنب الأوثان . ولما ظهر الاسلام حسد النبي ، فلم يسلم ، لأنه كان طمع في النبوة ، أو انه أراد أن يسلم ، فلما سمـع بقتلى بدر ، توقف ورثى قتلى المشركين ، وذهب الى الطائف فمات بها . وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل انه توفي سنة تسع من الهجرة ، وقيل قبل ذلك وورد في رواية انه مات في الجاهليـة ولم يدركـه الاسلام . وقد صدقه النبي في بعض شعره ، وقال : قد كاد أمية أن يسلم[3] . وقد كان يكنى بـ (أبي عثمان) وبـ (أبي القاسم)[4] .

وورد في بعض الروايات ان في حقه نزلت الآية : « واتل عليهم نبأ الـذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاويـن »[5] . ويرجع سند القائلين بذلك الى (عبدالله بن عمرو) والى (ابن الكلبي)[6] .

---

١ ابن سلام ، طبقات (٦٦) ، ابن قتيبة ، الشعر (١ / ٣٧١) .
٢ الاصابة (١/١٣٤) ، (رقم ٥٥٢) ، الاغاني (٣/١٧٩ وما بعدها) ، (١٦/٦٩)، خزانة (١/١١٨) ، بروكلمن (١/١١٣ وما بعدها) .
٣ الاصابة (١/١٣٤) ، (رقم ٥٥٢) ، الخزانة (١/١١٩ وما بعدها) ، الجمان في تشبيهات القرآن (٨٤ ، ٣٨٤)
٤ كنى الشعراء ومن غلبت كنيته عليه (٢٨٩) ، (نوادر المخطوطات) .
٥ سورة الاعراف ، الآية ١٧٥ .
٦ تفسير الطبري (٩/٨٢) ، تفسير الالوسي (٩/ ٩٨)

وروي أن النبي سأل (الرشيد بن سويد) أن ينشده من شعر أمية ، فأنشده إياه ، فقال : كاد ليسلم . وأن النبي أنشد قول أميّة :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال : صدق ، وهذه صفة حملة العرش . وذكر أن معظم شعر أمية كان في الآخرة ، كما كان معظم شعر عنترة بذكر الحرب[1] .

وقد دوّن (ابن هشام) قصيدة (أمية) التي نظمها يرثي من أصيب من قريش يوم بدر ، ومطلعها :

ماذا بـدرٍ بالعقنـ ـقل من مرازبة جحاجح
ألا بكيت عـلى الكرا م بني الكرام أولى المدائح
كبكا الحمام على فرو ع الأيك في الغصن الجوانح[2]

وذكر أن النبي نهى عن روايتها لما ورد فيها من رثاء قتلى بدر[3] ، ولكني أشك في صحة صدور هذا النهي من الرسول ، إذ لو كان الرسول قد نهى عن إنشادها ، فكيف دونها (ابن هشام) وغيره ، ولا تزال مدوّنة ، وقد قال (ابن هشام) أنه دوّن القصيدة إلا بيتين نال فيها من أصحاب الرسول[4] .

ودوّن (ابن هشام) قصيدة أخرى لأمية قالها يرثي ويبكي (زمعة بن الأسود) وقتلى (بني أسد)[5] من أبياتها :

عُيُنْ بكّى بالمُسبلات أباالعا صي ولا تذكري على زمعه
لبني مُسلمٍ لهم خرّت الجو زاء لا خاتة ولا خدعه
وهم الهامة الوسيطة من كعـ ـبٍ ومن هُمْ كذروة القمعه

---

١ الخزانة (١/١٢٠ وما بعدها) .
٢ ابن هشام ، سيرة (٢/١١٤) ، (حاشية على الروض الانف) ، البيان والتبيين (١/٢٩١) .
٣ الحيوان ، للجاحظ (١/٢٩١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١١٣) .
٤ ابن هشام ، سيرة (٢/١١٤) .
٥ ابن هشام ، سيرة (٢/١١٤) ، (حاشية على الروض الانف) .

أنبتوا من معاشر شعر الرأ س وقد بلّغوهم المنعه
وهم المطعمون إن قحط القط ـر وأصحت فلا ترى قزعه
أمسى بنو عمهم اذا جلس النا دي عليهم أكبادهم وجعه[1]

ومن شعره الذي قاله في التحريض على رسول الله قوله :

لله درّ بني عليّ أيّم منهم وناكح
إن لم يغيروا غارةً شعواء تحجر كلّ نابح
بزهاء ألفٍ أو بألـ ـف بين ذي بدن ورامح[2]

وروي انه كان يحكي في شعره قصص الأنبياء ، ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب ، يأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب[3] . وكان يسمي السماء في شعره : (صاقورة) و (حاقورة) ، و (برقع) . ويقول في الله عز وجل :

هو السليط فوق الأرض مقتدر

ويقول : وأبدت الثغرورا ، يريد الثغر[4] .

وفي شعر (أميّة) إشارة الى قصة أصحاب الفيل ، إذ قال :

إن آيات ربّنا بيّنات لا يماري بهنّ إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتّى ظل يمشي كأنه معقور[5]
كل دين يومَ القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور[6]

ونسبت الى (أمية) قصيدة طويلة عدّتها تسعة وسبعون بيتاً ، ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء : داوود ، وسليمان ، ونوح ، وموسى ، وذكر قصة ابراهيم

---

١ نسب قريش (٢٠٦) .
٢ نسب قريش (١٠ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٦٩) ، (دار الثقافة) .
٤ الشعر والشعراء (١/٣٧١) .
٥ الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي ، (٣٨٤) .
٦ رسالة الغفران (٥٤٢) .

واسحاق ، وزعم أنه هو الذبيح ، وقد وردت في ديوانه الذي جمعه (محمد بن حبيب) ، وفي أبياتها بيت هو :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال[1]

وقد وجد هذا البيت في قصيدة رواها (الأصمعي) لأبي قيس اليهودي، وقيل هي لابن صرمة الأنصاري مطلعها :

سبحوا للمليك كل صباح طلعت شمسه وكل هلال

ووجد أيضاً في أبيات لحنيف بن عمير اليشكري ، قالها لما قتل محكم بن الطفيل يوم اليمامة في أبيات هي :

يا سعاد الفؤاد بنت أثال طال ليلي بفتنة الرحال
أنها يا سعاد من حدث الدهر عليكم كفتنة الدجال
إنّ دين الرسول ديني وفي القو م رجال على الهدى أمثالي
أهلك القوم محكم بن طفيل ورجال ليسوا لنا برجال
ربما يجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال[2]

وقد تحدث (أمية) في قصيدته اللامية عن الخلق وعن كيفية تكوّن الأرض وظهور الأنهار والعيون ، ثم عن الموت والبعث والنشر ، وهي قصيدة أرى انها منحولة ، وهي لا يمكن أن تكون من شعر تلك الأيام ، وقد نحل على لسان (أمية) وأظن ان ذلك في أيام الحجاج ، الذي كان يتعصب له لكونه شاعر ثقيف ، وهو منها[3] .

ومما نسب الى أمية هذا الشعر :

والأرض معقلنا وكانت أمّنا فيها مقامتنا وفيها نولد

---

١ ربما تكره النفوس من الشر له فرجة كحل العقال .
٢ الخزانة (٢/٥٤٣ وما بعدها) ، (بولاق) ، ربما تكره النفوس من الام ر له فرجة كحل العقال أمالي المرتضى (١/٤٨٦) .
٣ راجع ديوان أمية طبعة « شولتس »« Shulthes » ، وطبعة بشير يموت .

وبها تلاميذ عـلى قـذفاتها حبسوا قياماً فالفرائص ترعد

وهذا الشعر :

صاغ السماء فلم يخفض مواضعها لم ينتقص علمه جهلٌ ولا هرم
لاكشّفت مرةً عنّا ولا بليت فيها تلاميذ في أقفائهم دغم

وهذا البيت ، الذي هو من الشعر الأول :

فمضى وأصعد واستبدّ إقامة بأولى قوى فبتـل ومتلمد[1]

وروى أهل الأخبار قصصاً عنه ، هو من نوع القصص الذي يروى وقوعه للأنبياء ، مثل تكليم الجن له ، ووقوع طير على صدره ، وشقه له ، لتنظيف قلبه ، في قصة أخذت من خبر غسل قلب الرسول ولا شك . ثم حكاية شعوره بدنو أجله ، ووفاته[2] . وقد حاول وضاع هذا القصص تبجيل (أمية) واعطائه قدسية خاصة وإظهاره بمظهر الصالحين حتى كاد الوحي ينزل عليه لولا ظهور الرسول . وقد حاول بعض أهل الأخبار تخفيف أثر ما روي عن معارضة (أمية) للإسلام ، ومنهم من أمانه قبل الإسلام ، وبذلك خلصه من تهمة اشتراكه مع المشركين في محاربة الإسلام . وهي روايات يظهر أنها ظهرت في أيام الحجاج ، وبتأثير منه .

وأكثر ما نسب اليه من شعره محمول عليه ، ونجد في كتاب (البدء والتأريخ) لمطهر بن طاهر المقدسي شعراً فيه عبارات وألفاظ قرآنية،لا شك في أنها مصنوعة، وقد حملت عليه . وقد ذهب (كليمان هوار) أن شعره كان من مصادر القرآن، ومعنى هذا أنه شعر صحيح ، قاله (أميّة) قبل الإسلام ، فتعلمه الرسول منه، ونزل به الوحي . وقد عارضه (بروكلمن) وآخرون من طائفة المستشرقين ، وهم يرون أن هذا الشعر قد صنع ونسب اليه في عهد مبكر ، ربما كان في القرن

---

١ رسالة التلميذ ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (٢٢٢ وما بعدها) ، من « نوادر المخطوطات » ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، (المجموعة الثانية ، القاهرة ١٩٥١م)

٢ الاصابة (١٣٥/١) .

الأول للهجرة . وقد أدخل فيه قصص أخذ من القرآن[1] .

وتعدّ قصيدة (أمية) التي مطلعها :

عرفتُ الدار قد أقوت سنينا لزينب إذ تحلّ بها قطينا

في المجمهرات .

ونسب لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، والد أمية قوله :

لن يطلب الوتر أمثالُ ابن ذي يزن لجج في البحرِ للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده القول الذي قالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة من السنين ، لقد أبعدتَ إيغالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم انك عمري لقد أسرعت قَلقالا
من مثل كسرى وباذان الجنود له ومثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
لله درهم من عصبةٍ خرجوا ما ان ترى لهم في الناس أمثالا
غُلبا جحاجحة بيضاً مراجحةً أسداً تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن عَتَلٍ كأنها غبط بزمخر يُعْجل المرمى إعجالا
أرسلتَ أسداً على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلاّلا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا
ثم أطل المسكَ إذ شالت نعامتهم واسبلِ اليومَ من بُرديك إسبالا
تلك المكارم قعبان من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعد أبولا[2]

وهي قصيدة زعم انه قالها في (سيف بن ذي يزن) ، وزعم انها لابنه (أمية بن أبي الصلت) . وقد رواها (الطبري) في تأريخه ، على هذه الصورة:

---

١ Cl Huart, in JA., Ser., X, I, IV, (1904), p. 125, Tor Andrae, Der ursprung d. Islam und d. Christentum, Stockholm, (1926), S. 48.

بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/١١٣) .

٢ الشعر والشعراء (١/٣٧١ وما بعدها) ، التيجان (٣٠٥) ، الاغاني (١٦/٧٣)، الروض الانف (١/٥٢) ، ابن سلام ، طبقات (٢١٨) ، البحتري ، حماسة (١٦).

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... رَيَّمَ في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامتهم ... فلم يجد عنده بعض الذي قالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة ... من السنين ، لقد أبعدت إيغالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك لعمري لقد أطولت قلقالا
من مثل كسرى شهنشاه الملوك له ... أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن ترى لهمُ في الناس أمثالا
غُرٌ جحاجحةٌ ، بيضٌ مرازبة ... أسد تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدُفٍ كأنها غبط ... في زمخرٍ يعجل المرمي إعجالا
أرسلت أسداً على سوّد الكلاب فقد ... أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج متكئاً ... في رأس غمدان داراً منك محلالا
وأطّلِ بالمسك إذ شالت نعامتهم ... واسبل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا [1]

وقد نسبها لوالد أمية .

وقد ذكر (ابن هشام) ، ان (ابن اسحاق) نسب هذه القصيدة لأبي الصلت ابن أبي ربيعة ، ويروي انها لامية . وقد رواها على هذا النحو :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... رَيَّمَ في البحر للأعداء أحوالا
بمَ قيصرَ لما حان رحلته ... فلم يجد عنده بعض الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين بهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك عمري لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا ... ما ان أرى لهم في الناس أمثالا
بيضاً مرازبة غلباً أساورة ... أسداً تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط ... بزمجر يعجل المرمى إعجالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في رأس غمدان داراً منك محلالا
وأشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم ... واسبل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

---

١ الطبري (٢/١٤٧ وما بعدها) .

وقد ذكر (ابن هشام) ان « هذا ما صح له مما روى ابن اسحاق منها ، إلا آخرها بيتاً : تلك المكارم لا قعبان من لبن . فإنه للنابغة الجعدي »[1] .

وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج الى دليل ، وهو وضع يثبت أن صاحبه لم يكن يتقن صنعة الوضع جيداً ، ولا له إلمام بأمور التأريخ ، فالقصيدة التي مطلعها :

لك الحمد والمنّ ربّ العبا د أنت المليك وأنت الحكم

هي قصيدة إسلامية ، لا يمكن أبداً أن تكون من نظم شاعر لم يؤمن بالإسلام إيماناً عميقاً من كل قلبه ولسانه . خذ هذا البيت منها مثلاً :

محمداً أرسله بالهدى فعاش غنياً ولم يهتضم

ثم خذ الأبيات التالية له وفيها :

عطاء من الله أعطيته وخص به الله أهل الحرم
وقد علموا أنه خيرهم وفي بيتهم ذي الندى والكرم
يعيبون ما قال لما دعا وقد فرج الله إحدى البُهَم
به وهو يدعو بصدق الحديـ ـث الى الله من قبل زيغ القدم
أطيعوا الرسول عباد الإلـ ـه تنجون من شرّ يوم ألم
تنجون من ظلمات العذاب ومن حرّ نار على من ظلم
دعاني النبي بـه خاتم فمن لم يجبه أسرّ الندم
نبيٌّ هدىً صادق طيب رحيم رؤوف بوصل الرحم
به ختم الله من قبله ومن بعده من نبيّ ختم
يموت كما مات من قد قضى يردّ الى الله باري النسم
مع الأنبياء في جنان الخلودِ هم أهلها غير حل القسم
وقدس فينا بحب الصلاة جميعاً وعلّم خط القلم
كتاباً من اللهِ نقرأ به فمن يعتريه فقدماً أثم[2]

---

١ ابن هشام (١/٥٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١/٣٧١) .

٢ ديوان أمية ، قصيدة رقم ٢٣ في طبعة « فردرش شولثيس » ، (ص ٢٣ وما بعدها) ، و (ص ٥٥ وما بعدها) من (طبعة بشير يموت) ، الخزانة (١/١٢٢) ، (بولاق) .

اقرأ هذه المنظومة ، ثم أحكم على صاحبها ، هل تستطيع أن تقول انه كان شاعراً مغاضباً للرسول ، وانه مات كافراً ، وان صاحبها رثى كفّار قريش في معركة بدر ، وانه قال ما قال في الاسلام وفي الرسول ؟ اللهم ، لا يمكن أن يقال ذلك أبداً ، فصاحب هذا النظم رجل مؤمن عميق الايمان ، هو واعظ ومبشر يخاطب قومه فيدعوهم الى الاسلام والى طاعة الله والرسول . انه مؤمن قلباً ولساناً ، مع انهم يذكرون ان الرسول قال فيه : آمن شعره وكفر قلبه ، أو آمن لسانه وكفر قلبه ، ولم يقصد الرسول ايمان أمية بالله وبرسوله ، وانما ايمان لسانه وشعره بالله ، وكفره برسوله ، إذ لم يؤمن به ، فمات على كفره وعناده وبغضه للرسول. ثم ان صاحب المنظومة رجل يتحدث عن وفاة الرسول ، ويريد تثبيت الناس على الايمان به بعد أن انتقل الى الرفيق الأعلى ، فظهر من تزلزل ايمانه بسبب وفاته ، مع ان أمية ، كان قد توفي في السنة التاسعة من الهجرة ، أي قبل وفاة الرسول ، فهل يعقل أن يكون اذن هو صاحبها وناظمها[1] ؟

أليست هذه المنظومة وأمثالها اذن دليلاً على وجود أيد لصناع الشعر ومنتجيه في شعر أمية . نحمد الله على ان صنّاعها لم يتقنوا صنعتها ، ففضحوا أنفسهم بها ، ودلّوا على مقاتل النظم .

وروي ان بعض الرواة نسبوا الى أمية بيتاً في قصيدة هو :

الحمد لله لا شريك لهُ من لم يقلها فنفسه ظلما

وفي القصيدة ضروب من التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار غير أن العارفين بالشعر ينكرون أن تكون لأمية ، وإنما نسبوها الى النابغة الجعدي ، وذكروا أن هذا البيت هو من شعر النابغة الذي كان يتأله في الجاهلية وأنكر الخمر وهجر الأزلام واجتنب الأوثان ، وذكر دين ابراهيم[2] .

ثم خذ قصيدة أخرى من القصائد المنسوبة لأميّة ، وهي في وصف الجنّة والنار استهلت بهذا البيت :

---

١ « وكانت وفاة أمية بن أبي الصلت قبل ذلك بيقين سنة تسع من الهجرة » ، الاصابة (٤٩٣/١) ، (رقم ٢٥٩٠) .

٢ ابن سلام (١٠٦) ، الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .

جهنم لا تبقي بغيّاً وعدنٌ لا يطالعها رجيمُ

ثم استمر في قراءتها ، وفي ما جاء فيها من وصف للجنة والنار ، ثم أنعم النظر في عبارات هذه الأبيات :

فذا عسل وذا لبن وخمرٌ وقدح في منابته صريمُ
ونخل ساقط الأكتاف عد خلال اصوله رطب قميمُ
وتفاحٌ ورمّانٌ وموزٌ وماء بارد عذبٌ سليم
وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهُمُ مقيم
وحُورٌ لا يَرين الشمس فيها على صُور الدُّمى فيها سُهوم
نواعمُ في الأرائك قاصرات فهنّ عقائل وَهُمُ قروم
على سرر تُرى متقابلاتٍ ألا ، ثم النضارةُ والنعيم
عليهم سندسٌ وجيادُ ريطٍ وديباج يرى فيها قتوم
وحُلّوا من أساور من لُجينٍ ومن ذهب ، وعسجد كريم
ولا لغوٌ ولا تأثيمٌ فيها ولا غولٌ ولا فيها مُليم
وكأس لا تصدع شاربيها يلذّ بحسن رؤيتها النديم
تصفّق في صحاف من لجينٍ ومن ذهب مباركة رذوم[1]

ثم احكم بعد ذلك على صاحب هذه الأبيات . لقد حاول ناظمها إدخال بعض الكلمات الجاهلية فيها ، لإلباسها ثوباً جاهلياً ، ولإظهارها بمظهر الشعر الجاهلي الأصيل ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، بل صيرها في الواقع نظماً لوصف الجنة والنار في الاسلام. وما بي حاجة الى أن أحيلك على الآيات التي أخذ منها صاحب هذا الشعر وصفه من القرآن .

ومن الغريب ان بعض الباحثين اتخذ هذا النظم وأمثاله حجة لتبيان عقائد الجاهليين ، فذكر مثلاً ان العرب في جاهليتها كانت تؤمن بالجزاء ، وأن منهم

---

١ تجد اختلافا في كلمات هذه القصيدة وأبياتها ، وكذلك في قصائد هذا الشاعر الاخرى ، فارجع في ذلك الى طبعات ديوانه والى كتب الادب لمعرفة مواضع الاختلاف، كتاب البدء والتأريخ (٢٠٢/١ وما بعدها) ، ثم ديوانه .

من نظر في الكتب وكان مُقراً بالجنة والنار. وحجته في ذلك هذه المنظومة المنسوبة الى أمية ، مع انها من الشعر المزيف المصنوع !

ثم خذ قصيدته في (عيسى بن مريم) وحمل أمه به[1] ، وسائر قصائده الأخرى، تجد عليها هذه المسحة الاسلامية بارزة ظاهرة ، ومن الممكن إدراك هذا المصنوع المزيف بدراسة ألفاظه وأسلوبه وأفكاره ، وبهذه الطريقة نتمكن من استخلاص الأصيل من شعره من الهجين .

ولأمية شعر في الموت ، حيث يقول :

من لم يمت عبطة يمت هرماً والموت كأسٌ، والمرء ذائقها[2]

ويروى له قوله في الله :

واشهد أن اللهَ لا شيء فوقه عَلِيّاً وأمسى ذكره متعالياً[3]

وزعم أن أميّة ، قال عند موته :

إن تغفر اللهم تغفر جمّا وأيّ عبد لك لا ألمّا

وقد تمثل به النبي وصار من جملة الأحاديث . قالوا في ذلك : يجوز إنشاد الشعر للنبي ، وإنما المحرم انشاؤه . وقد زعم أن البيت لأبي خراش الهذلي ، وذكر أنه لا يعرف قائله ولا بقيته ، وقد أخذه أبو خراش وضمّه الى بيت آخر ، وكان يقولها ، وهو يسعى بين الصفا والمروة[4] .

ومن شعر أمية قوله :

زعم ابن جدعان بن عمرو أنني يوماً مُدابر
ومسافرٌ سفراً بعيداً ، لا يؤوب له مسافر[5]

---

١ ديوان أمية (٥٨) ، (بشير يموت) .
٢ أمالي المرتضى (١/٥٣٣) .
٣ امالي المرتضى (٢/١٦٨) .
٤ الخزانة (٢/٢٩٥) ، (هارون) .
٥ اللسان (٤/٢٧٥) ، (دبر) .

ومن ولد (أمية بن أبي الصلت) : عمرو ، وربيعة ، ووهب ، والقاسم. وكان ربيعة والقاسم شاعرين[1] . وذكر انه نظم شعراً رد به على أبيه في انتسابه، منها :

وإنا معشر من جذم قيس فنسبتنا ونسبتهم سواء[2]

وهو القائل :

وإن يك حيّا من إياد فإننا وقيساً سواء ما بقينا وما بقوا
ونحن خيار الناس طراً بطانة لقيس ، وهم خير لنا إن هم بقوا[3]

ولا نعرف من أمر (القاسم بن أمية بن أبي الصلت) شيئاً يذكر . وقد أورد له (المرزباني) شعراً في مدح (بني دهمان)[4] . وذكر انه رثى (عثمان ابن عفان) في قصيدة منها :

لعمري لبئس الذبح ضحيّم به خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه سيسعى به الرحمن سعي نجاح[5]

وأورد له (ابن قتيبة) أربعة أبيات مطلعها :

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم تركوه ربّ صواهل وقيان[6]

ورويت له مرثية في عثمان بن عفان منها :

لعمري لبئس الذبح ضحيّم به خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنـــه سيسعى به الرحمن سعي نجـاح[7]

---

١ رسائل الجاحظ (١/٢٥٨) .
٢ الاصابة (١/٤٩٣) ، (رقم ٢٥٩٠) .
٣ رسائل الجاحظ (١/٢٥٨) ، الاغاني (٣/١٧٩ وما بعدها) ، « ربيعة بن ابي الصلت ، صاحب ربيعتان نهر بقرب الابلة ، ومن ولده : كلدة بن ربيعة ، كان من رجال أهل البصرة » ، الاشتقاق (١/١٨٥) .
٤ الشعر والشعراء (١/٣٧٢) ، (دار الثقافة) ، المرزباني ، معجم (٢١٣) ، الاغاني (٣/١٧٩) ، الحيوان ، للجاحظ (١/٦٤) .
٥ الاصابة (٣/٢١٣) ، (رقم ٧٠٥٢) .
٦ الشعر والشعراء (١/٣٧٢) .
٧ الاصابة (٣/٢١٣) ، (٧٠٥٢) .

وله موعظة في أسلوب يشبه أسلوب أعشى بني ربيعة ، نشرها (كاير) في ديوان الأعشى[1] .

ومن شعراء ثقيف (عوف بن عامر بن حسان بن مالك بن حطائط بن جشم ابن ثقيف) الكاهن ، وكان جاهلياً كاهناً شاعراً[2] ، و (كنانة بن عبد ياليل ابن سالم بن مالك بن حطائط بن جشم بن ثقيف) ، وكان يمدح النعمان بن المنذر[3] ؛ و (كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف) ، وهو شاعر ذكره (ابن سلام)[4] .

ومسعود بن معتب بن مالك الثقفي من شعراء ثقيف ، وهو جاهلي . وابنه عروة بن مسعود ، الذي دعا قومه الى الاسلام ، فقتلوه . وكان (مسعود) غنياً ، وكان يخشى عليها من أن تباع الى قريش بعد وفاته ، وكانت قريش تشتري الأرض والأموال بالطائف ، فخشي أن يبيع ورثته ملكه لقريش[5] .

و (أبو محجن الثقفي) واسمه مالك ، وقيل عبدالله بن حُبيب بن عمرو بن عمير بن عوف ، وقيل اسمه كنيته ، هو من الشعراء المطبوعين ، وكان كريماً منهمكاً في الشراب لا يكاد يقلع عنه ، أسلم مع ثقيف . جلده (عمر) مرّات ثم نفاه الى جزيرة،وبعث معه رجلاً فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص،يوم القادسية فكتب عمر الى (سعد) أن يحبسه فحبسه . فأرسل الى امرأة سعد من يقول لها : اطلقيني ولك عليّ ان سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجليّ في القيد ، وان قتلت استرحتم مني . فأطلقته ، فوثب على فرس لسعد ، ثم أخذ رمحاً ثم خرج يهاجم الفرس ، فجعل لا يحمل على ناحية من العدوّ إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون هذا ملَك ، لما يرونه يصنع ، فلما هزم الفرس ، رجع فوضع رجله في القيد، وترك الخمر قائلاً : قد كنت أشربها إذ يقام عليّ الحدّ وأطهر منها ، فأما الآن

---

١ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/١١٤) .
٢ المرزباني ، معجم (١٢٥) .
٣ المرزباني ، معجم (٢٤٦) .
٤ المرزباني ، معجم (٢٤٦) .
٥ المرزباني ، معجم (٢٨٣) .

فلا والله لا أشربها أبداً[1] .

ومن شعره :

إذا مت فادفني الى جنب كرمةٍ تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفـــلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
أباكرها عنـــد الشروق وتارة يعاجلني عند المساء غبوقهـــا
وللكأس والصهباء حـــق معظم فمن حقها أن لا تضاع حقوقهـا

وحدّث من رأى قبر (أبـي محجن) أنه نبتت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت وهي معرشة على قبره . ولكنهم عندما تحدثوا عن موضع قبره ، اختلفوا فيه ، فقال بعض منهم إنه في نواحي أذربيجان ، وقال قوم بجرجان[2] . ويظهر أنهم اختلقوا قصة ظهور الكرم على قبره من الشعر المتقدم .

وذكر بعض الرواة ان (أبا محجن) هوى امـرأة من الأنصار ، يقال لهـا (شموس) فحاول النظر اليها ، فلم يقدر ، فـآجر نفسه من بنّاء يبني بيتاً بجانب منزلها فأشرف عليها من كوّة فأنشد :

ولقد نظرت الى الشموس ودونها حرج من الرحمن غير قليل

فاستعدى زوجها عمر فنفاه ، وبعث معه رجلاً يقال له أبو جهراء ، فلما رأى (أبو جهراء) من أبـي محجن سيفاً هرب منه الى عمـر ، فكتب (عمر) الى (سعد) يأمره بسجنه فسجنه[3] .

وذكر (بروكلمن) ان (أبا محجن) لم يزل يشرب الخمر حتى نفاه (عمر) الى (باصع) ، وهي مدينة (مصوع) على ساحل الحبشة . وتوفي بها بعد مدة

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٠١ وما بعدها) ، الاغاني (٢١/١٣٧) ، الخزانة (٣/٥٥٠) ابن سلام ، طبقات (٢٢٥) ، المؤتلف (٩٥) ، الاصابة (٤/١٧٣) (رقم ١٠١٧) ، الشعر والشعراء (١/٣٣٦ وما بعدها) ، طبقات ابن سـلام (٦٨ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٠٣) ، (الى أصل كرمة) ، ديوانه (ص ١٤) ، (ليدن ١٨٨٧ م) ، (تحقيق Abel) ، عيون الاخبار ، لابن قتيبة (١/٣٨) ، (القاهرة ١٣٢٤) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٩) ، الاستيعاب (٤/١٨١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الاصابة (٤/١٧٤) ، (رقم ١٠١٧) .

وجيزة[1] . وهو خبر غريب ، يخالفه كل من تعرض لأمر هذا الشاعر . فقد ذكروا جميعاً انه ترك الخمر منذ يوم (القادسية) ولم يعد اليها ، ولم يذكر أحد انه عاد اليها ، حتى نفترض انه عاد بعد ذلك الى المدينة وعاد اليها فنفاه ، وقصة نفيه الى جزيرة في البحر ، ترد قبل ذهابه الى العراق ، بعد أن فرّ منه حارسه ، وكان قد أحس انه يريد قتله ، فأمر (عمر) سعداً عندئذ بحبسه فحبس ، ثم خرج فقاتل ، فلما انتصر المسلمون ، رجع الى محبسه، ففك (سعد) قيوده وأطلقه.

وقد جمع شعر (أبي محجن) في ديوان ، طبع ، كما نجد له قطعاً من أشعاره في مختلف كتب الأدب ومن تعرض لسيرته من رجال الأخبار[2] .

وكان (غيلان بن سلمة) من الأشراف ، ذكر (الجمحي) ، انه كان قسم ماله كله بين ولده وطلق نساءه ، فنهاه (عمر) عن ذلك ، ففعل بما أمر به[3].

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٧/١) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٧/١ وما بعدها) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٦٩) .